وعلى هذين الاساسين، تصاعد الموقف السوفياتي، وهو موقف لا يمكن متابعته إلا عبر ما تنشره الصحافة السوفياتية ووسائل الاعلام، فيما يبقى الكثير مما سيقال بعد ان تهدأ المدافع والكثير مما لن يقال اطلاقاً، كما يعرف من يتابع اسلوب العمل الحذر للدبلوماسية السوفياتية.

وكان أول تعليق في الصحافة السوفياتية ما نشرته (برافدا) في اليوم الأول للعدوان (٦/٥)، حيث شخصت بوضوح وبصورة مبكرة اهداف العدوان الاسرائيلي «والان توجه اسرائيل كل جهودها لسحق منظمة التحرير الفلسطينية ومراكزها وقواعدها. وفي هذا يكمن الجوهر الرئيسي للغارات الجوية الأخيرة... والاعتداء البري الواسع الذي يجري التحضير له ازاء هذا البلد... إن من شأن اقصاء منظمة التحرير الفلسطينية كعامل من عوامل السياسة في الشرق الأوسط واضعاف سوريا بشكل ملموس ان يسمحا لاسرائيل ليس فقط بضم الاراضي التي احتلتها في العام ١٩٦٧، بل كذلك تهجير مئات الالوف من الفلسطينيين من الضفة الغربية إلى الاردن وربما أيضاً بتثبيت نظام في لبنان يكون مستعداً للتعاون مع تل أبيب». وتعرضت البرافدا في ملاحظة نادرة إلى «العناصر السلبية في الموقف العربي».

لكن أول موقف رسمي سوفياتي، عدا مواقف الدعم الصريحة لقرارات مجلس الأمن، ظهر في بيان للحكومة السوفياتية ووصف العدوان بانه (تحد لمنظمة الأمم المتحدة) وطالبها (باتخاذ اجراءات فورية لوضع حد للعدوان الاسرائيلي) وابرز ما في البيان، المطالبة بوقف التدخل المسلح لا (بالاعمال الحربية)، كما درجت الدبلوماسية الغربية للاشارة إلى نضال الشعب الفلسطيني المسلح بالتساوي مع العدوان الاسرائيلي، كما تضمن البيان دعوة للانسحاب الكامل لقوات الغزو من الأراضي اللبنانية، واعتبر ان العدوان تم بمساندة واشنطن وبموافقتها).

وكما يلاحظ فان وسائل ردع العدوان القيت على (الامم المتحدة) لا على دولة بمفردها، وهو أمر منطقي، بالارتباط مع ادانة الولايات المتحدة، كشريكة في التخطيط والتنفيذ للعدوان، وهو ما ظلت ترددة وسائل الاعلام السوفياتية في الايام التالية وتضيف له تفاصيل اخرى تؤكده. وبالارتباط مع ما اشرنا إليه اعلاه. وقبل ان تدخل سوريا طرفاً مباشراً في المعارك كانت البيانات الرسمية السوفياتية تحمل مجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة مسؤولية صد العدوان واجبار اسرائيل على الانسحاب.

في ٦/٩ برز أول موقف على لسان مسؤول سوفياتي بارز هو اندريه غروميكو، في لقائه مع أبو اللطف في نيويورك. فقد ابرز بيان «تاس» الصادر عن اللقاء الموقف السوفياتي الذي تحدث لا عن دعم بلدان مثل سوريا ولبنان فحسب، بل عن (تأكيد غروميكو لأبو اللطف ثبات الدعم الذي يقدمه الاتحاد السوفياتي إلى النضال العادل الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ضد سياسة اسرائيل العدوانية، وفي سبيل الحرية والاستقلال واحقاق حقوقه الوطنية المشروعة).

في ٦/١٠ لم تشر وسائل الاعلام السوفياتية قط إلى رسالة اعلنت وسائل الاعلام الاخرى ورودها من الرئيس ليونيد بريجنيف إلى أبو عمار، لكن الصحف السوفياتية صعدت من لهجتها ضد اسرائيل مما يلمح إلى طابع الرسالة التي ارسلها بريجنيف إلى عرفات. فالصحف السوفياتية تحدثت عن اهداف العملية، باعتبارها تصفية حركة المقاومة الفلسطينية و«سحق ارادة شعبها»، وفرض «ما يسمى بالحكم الذاتي»، والضغط «على الانتخابات المقبلة في لبنان وضمان وصول رئيس مؤيد لاسرائيل وللولايات المتحدة»، واضعاف سوريا وجعلها شريكاً «طيعاً».

في اليوم التالي كشف هيغ النقاب عن ان الرئيس بريجنيف بعث برسالة إلى رونالد ريغان. ومع ان الرسالة اعربت عن قلق القيادة السوفياتية ازاء الغزو، إلا ان احتمال التدخل السوفياتي المباشر لم ترد في الرسالة مباشرة. ومع هذا فلا بد من ملاحظة ان اعلان اسرائيل اقتراحها بوقف اطلاق النار ورد في ذلك اليوم بالضبط؛ وبغض النظر عن مسببات وقف اطلاق النار بين سوريا واسرائيل، فلا بد من الاشارة إلى تحفظ الاتحاد السوفياتي على شروطه، إذ اذاعت (تاس) في ٦/١١ بياناً جاء فيه «ان قرار وقف النار الذي اعلنته تل أبيب تصاحبه شروط يساوي قبولها ترك المدنيين دون دفاع أمام القصف الاسرائيلي»، ومع الاعلان عن وقف اطلاق النار الثاني صعدت «تاس» لهجتها معتبرة اياه «لا يعدو كونه مناورة سياسية تستهدف تخفيف ما اثاره العدوان الاسرائيلي من سخط في العالم اجمع واعطاء فترة راحة لقواته المنهكة نتيجة المعارك قبل اعادة تجميعها»، واضافت: «ان واشنطن